فَجُودِي عليه بالدُّموع وأعْوِلي لِفَقْدِ الذي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ [١]

ويعود الشّاعر لتَعْداد فضائل الرّسول ومكارم أخلاقه فيقول :

وما فَقَدَ الماضونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ولا مِثْلُهُ حتّى القيامَةِ يُفْقَدُ
أعَفُّ و أوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وأقْرَبَ منه نائِلاً لا يُنَكَّدُ
وأبْذَلَ منه لِلطَّريف وتالِدٍ إذا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بما كانَ يُتْلَدُ
وأكْرَمَ صِبيتاً في البيوتِ إذا انْتَمَى وأكْرَمَ جَدا أبْطَحِيا يُسَوَّدُ
وأمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وأثْبَتَ في العُلا دَعَائِمَ عِزٍّ شاهِقاتٍ تُشَيَّدُ
رَبَاهُ وَلِيداً فاسْتَتَمَّ تَمَامَهُ على أكْرَمِ الخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ [٢]

ونرى في تأبين حسّان للرّسول ﷺ وفي ذكر فضائله كيف يبدو متشبّعاً بالمفاهيم الإسلاميّة ، وكيف تتخلّل نسيجَ هذه الأبيات عباراتٌ من آي الذّكر الحكيم ، أو من أحاديث الرّسول صائغاً إيّاها صياغة شعريّة جميلة . فهو في وصفه لشمائل النّبي يضمّن أبياته معنى الآية القرآنيّة « لقد جاءكم رسولٌ من أنْفُسِكمْ عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم » (سورة التّوبة ، آية ١٢٨) وحديثه عن التّيسير على النّاس ورفع الحرَج عنهم يبدو مستوحًى من حديث للرّسول ، وقد أكثر النّاس عليه قائلين : « أ علينا حرج في كذا ؟» فقال : « أيُّها النّاس ، إن دين الله يسير .» يقولها ثلاثًا .[٣] والبيت الأخير كأنه مأخوذ من قول الرّسول ﷺ : « أدّبني ربّي فأحسن تأديبي .»

---

(١) أكمد : أكثر حزنا ، يغور : يبلغ الغَوْر ؛ أي ما انخفض من الأرض ، وينجد : يبلغ النجد وهو المرتفع منها ، مُقْصد : مصيب ، المرسلات : يعني بهم الملائكة ، بلاد الحرم : مكة وما اتصل بها من البقاع المقدّسة ، ضائفها : حل بها ، البَلاط : ما استوى من الأرض ، الغَرْقَد : شجر ، سابِغ : كثير تام ، يَتَغَمَّد: يشمل ويعم .

(٢) لا ينكد : لا يكدر بالمن والأذى ، الطّريف : هو المال المستحدث ، والتّالد : هو القديم الموروث ، ويتلد : يكتسب قديما ، الأبطحي : المنسوب إلى أبطح مكة ، يشير بذلك إلى شرف نسب الرسول في قريش ، ويسوّد : يعترف له بالسيادة . (٣) طبقات ابن سعد ، ج ٧ ، ص ٦٨ .